إلى المجمع اللغوى :

الأسماك فى الشواطىء الحضرمية

للأستاذ على عبود العلوى

— ٣ —

اللغة المهرية :

هذه هى المعلومات التى دونتها عن الملاحين الحضرميين طيلة الساعتين التى كنت أتخطر فيهما مع النسمة الروحية — لا — الغذائية .

وهى كما ترى على أكثرها مسحة اللغة المهرية والشحرية — نسبة إلى الشحر — وهى ليست بذاك كما يقول علماء اللغة .

وقبيلة مهرة من القبائل العربية ونسبها إلى قضاعة . وتسكن مهرة فى ظفار الحبوظية ومرباط وصيحوت وغيرها من الأماكن الشرقية بالنسبة إلى موقع حضرموت . وهذه الأماكن يشملها إسم حضرموت وذلك حسب التقسيم الجغرافى القديم ولا يعتد بالتقسيم السياسى اليوم .

وذكر بعض مؤرخى العرب أن لغة مهرة هى من بقايا التراث العربى القديم أعنى أنها من بقايا لغة عاد . وهى إلى اليوم لا كتابة لها .

ويؤكد بعض المؤرخين أنها من بقايا اللغة الحميرية . ويؤيد هذا الرأى فضيلة شيخنا العلامة الكبير مفتى (جوهور) سابقا السيد علوى بن طاهر الحداد العلوى[1] يقول :

« ويدل على هذا وجود كلمات فيها نص علماء اللغة على أنها حميرية . أذكر منها أنهم يسمون اللبن (شِخَوف) وهذا اسمه بالحميرية كما فى القاموس ، ويقولون : (قَيهل) بمعنى أقبل . وقد ذكر هذا اللفظ بمعنى الوجه فى ترجمة صاحب القاموس ، ويقولون للنار (شَواظ) ، وهذا محرف عن شُواظ ، ويسمون الماء (تَحوه) وهذا هو اسمه فى لغة عربية بتفخيم ألف وزيادة الحاء فقد حكى علماء اللغة أنه يقال : فيه (حاه) على لغة فإذا فخم الألف اقترب جرسه فى السمع مما ذكر .

وقال أيضاً[1] : والمهرة والقَرى — هم بادية مهرة وتسكن الجبال — وأهل سقطرى لغات متقاربة تجمعها اللغة المهرية ، وبينهما فروق . وتسمى لغة القرى بالحِكلى .

وأعدادهم محرفة عن العربية بتحريف بعيد أو قريب ، والعدد فى لغة الأعارة الحبشية أقرب إلى العربية منها .

	أعداد القرى	أعداد المهرة	أعداد الحبشة
(١)	طاد	طَاطْ	أحَدْ
(٢)	تِرَهْ	تِلْتْ	لِسْنَيْن
(٣)	صَاطِيطْ	صافيدْ (أو صفديد)	سلاسى
(٤)	أرْبَعَطْ	أرْبُوتْ	أرْبُوء
(٥)	خُوْنِشْ	خُمْهْ	هَمْسَهْ
(٦)	شِتِتْ	يَتِّيه	سَدِسْ
(٧)	شِبْعَتْ	هِيَايِتْ	لَسْبُوْ
(٨)	ثِنَيَتْ	ثِمِنْتْ	سَمَانِيه
(٩)	تسعِتْ	تَايِتْ	زَطّىْ
(١٠)	عِشْرِتْ	عِشْرِتْ	عَشَر

هذا ما نص عليه فضيلة شيخنا فى محاضرة له عن ظفار الحبوظية نجتزىء بالنقل عنها بما يهمنا حسب سياق البحث .

ولتكملة البحث نثبت هذه الألفاظ عن اللغة المهرية وهى :

ألفاظ مهرية	يقابلها بالعربية
تُخوْل	إجلس
أتث	قم
ثِيوُطْ (الثاء مفخم)	النار
حَيلو	الليل
من هوك قهبك ؟	من أين جئت ؟

(١) راجع ص ٩٧ من المجلد الثانى لمجلة الرابطة العلوية الصادرة فى بتافيا — جاوه سنة ١٣٤٧ .

(١) نفس المصدر صفحة ٩٧ — ٩٨ .

ألفاظ مهرية	يقابلها بالعربية
كمبيت	الصحفة
شخوف	اللبن
هيبيت	الناقة
هيرون	الغنم
بَقَريت	البقر
سَمِل	السمن
غجِّين	صبي
غجِّيت	بنت
حِبِرانِي	ابني

وعن اللغة المهرية صدرت فى أوربا هذه المؤلفات القيمة كما ذكرها المستشرق الإيطالى (نللينو) راجع مجلة الزهراء . فعسى أن يقوم بترجمتها المجمع اللغوى أو أحد أبناء العروبة البررة

١ — Die Mehri. Sprache. In Sudarabine من تأليف A. jAHN وطبع فى ڤينه سنة ١٩٠٢م .

٢ — Die Mehri und. Soqtri Sprade

كتاب اللغة المهرية والسقطرية ، وهو باللغة الألمانية طبع ڤينه سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٧ م وهو فى ثلاثة مجلدات .

٣ — رسائل متعددة وهى من تأليف M reatted و N Sikanakobodr مطبوعة فى منشورات المعهد العلمى فى ڤينه سنة ١٩٠٩ وبعدها .

مراعى العنبر والابل العنبرة :

ولن أحيد أصلا عن موضوع بحثنا حينما أستطرد إلى مراعى العنبر ولا سيما أن التاريخ العربى قد أقام لها وزنا .

ويقول الأستاذ حسن عبد السلام عن منشأ العنبر فى كتابه الذخيرة :

« ويغلب على الظن أن منشأه انعقادات صفراوية تتكون فى أمعاء بعض القياطس البحرية (Sqermaceti Whale) كما تتكون الحصوات المرارية عند الانسان وغيره من الحيوانات الثديية » .

والقياطس البحرية هى التى أسماها البحارة الحضرميون بالشوحطة ، وما غرب عن أذهانهم من فصيلتها كما أشرنا إلى ذلك .

ومراعى العنبر ليست محصورة بمكان واحد . فكما يوجد على شواطىء البرازيل وجزيرة مدغشقر وجزائر الهند الشرقية والصين واليابان وزيلندا الجديدة وأستراليا وساحل أفريقيا الشمالى كذلك يوجد على الشواطئ الهندية والعربية إلى باب المندب .

وللشواطئ الحضرمية نصيب من ذلك كما حدثنا التاريخ عنها فى القديم بل والحديث .

قال الهمدانى : (وبها - أى اليمن — مراعى العنبر على سيوفها ولمهرة وبنى مجيد على سيفى بحر اليمن شرقا وغربا الجمال المنبرة . وذلك أن مسائمها على الساحل ، وإذا اشتم الجمل العنبر به برك فلم يثر حتى يفتقده صاحبه ، فيطلبه فيجده بالقرب منها فيلتقطها . فان أبطأ عليه لم يبرح حتى تفتر قواه من الجوى وربما نفق فذلك خيفته عليها . صفة جزيرة العرب صفحة ٣٧) .

وقال فى موضع آخر : « وباليمن من كرام الإبل الأرحبية لأرحب بن الدعام من همدان ، والمهرية ثم من المهرية العيدية تنسب إلى العيد قبيلة من مهرة ، والصدفية ، والجرمية ، والداعرية تنسب إلى دعر من بلحرث ، والمجيدية ، ومنها الإبل المنبرة . صفحة ٢٠١ » .

وقسم أبو عبد الله محمد أبو طالب الأنصارى الدمشقى المعروف بشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٨ هـ العنبر إلى خام ومبلوع . وله نظرية فى العنبر . أو هى نظرية المعلومات السائدة فى ذلك العصر وهذه النظرية لا تتفق والمعارف العصرية كما ذكرنا عن الأستاذ حسن عبد السلام ، ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه نبه فى آخر بحثه إلى ما هو معروف لدينا اليوم وقال : قال قوم : إن العنبر زبل هذه الدابة .

ولا غرو أن نتيح له الفرصة ليتحدث إلينا بمعلومات أجدادنا العرب السابقين قال :

« ولهذا المحيط — يقصد بذلك المحيط المغربى — مد وجزر كما المحيط الشرقى . ويقذف ساحله العنبر الخام من غالب جهاته

ولاسيما من خلجانه . والعنبر نبع من عيون من جبال بقعر البحر المالح الفارسي والحبشي والهنـدي والمغربي والصيني والموسوي فيركب بعضه بعضاً . وهو في حين خروجه شديد الفوران والحرارة فإذا لاقى برد الماء جمد على أحجار وصار جماجم صغاراً وكباراً فيكون جموده كجمود الشمع إذا أصابه بعد ذوبه الماء البارد فيبقى لاصقاً بتلك الصخور إلى أن يهيج البحر في زمن الشتاء فيقتلعه قطعاً قطعاً ويخرجه إلى سطحه فترى به الأمواج إلى الساحل

وأجوده الذي يقع إلى ساحل الشحر من بلاد المهرة فيلتقطه الجلابون ؛ وربما ابتلعه سمك يسمى أوال ، فإذا ابتلعه مات من شدة حرارته فتريقه الأمواج أيضاً فيشق عنه جوفه ويستخرج منه ، وله رائحة زهمة ويسمى المبلوع والآخر الخام .

والعنبر إذا ألقاه الموج إلى الساحل لا يأكل منه حيوان إلا مات ولا ينقر منه طائر إلا انفصل منه منقاره . وإذا وضع عليه رجليه نصلت أظفاره فإن أكل منه شيئاً مات .

وقد ورد في دابة العنبر حديث صحيح وهو : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ثلاث مائة رجل سرية وأمر عليهم أبا عبيدة ابن الجرّاح رضي الله عنه فأجهدهم الجوع حتى أن الرجل كان يقتات في اليوم والليلة بتمرة واحدة فبينما هم يسيرون على ساحل البحر إذ أصابوا دابة العنبر مثل الكثيب الأضخم ميتة فأكلوا منها شهراً حتى سمنوا وكانوا يغترفون من وقب عينيها الدهن بالقلال ، وأخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في الوقب ، وأخذ ضلعاً من أضلاعها فنصبه ثم أدخل أعظم بعير وأركبه أطول رجل وأمره يدخل تحت الضلع فلم يبلغ رأسه منقمره . ولما رجعوا تزودوا من لحم السمكة حتى أوصلتهم إلى المدينة . فلما قدموا حكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هـذا رزق ساقه الله إليكم . فهـل معكم شيء فتطعمونا ؟ فأرسلوا إليه منه فأكل .

وقال قوم : إن العنبر زبل هذه الدابة . صفحة ١٣٣ — ١٣٤ من كتابه (نخبة الدهر وعجائب البر والبحر) المطبوع في بطرسبورغ سنة ١٢٨١ هـ و ١٨٦٥ م .

ومن نصه نفهم امتياز العنبر الذي يلقى على الشاطئ الحضرمي على غيره .

٢٦ ـ ٢٧

وللمسعودي إشارات إلى مراعي العنبر بالشواطئ الحضرمية والإبل المعنبرة فليراجعها من أحب .

ولا أعرف عن الإبل المعنبرة شيئاً اليوم . أما مراعي العنبر فلا تزال القياطس البحرية تكرم شواطئنا الحضرمية بمبراتها الودية في كل حين .

وهذه الإبل المعنبرة هي التي أشاد بذكرها التاريخ في سرعة السير كما تحدثت عنها الأسفار الأدبية . قال البعيث الحنفي :

وهاجرة يشوي مهاها سمومها	طبخت بها عيرانة واشتويتها
مفرجة منفوجة حضرمية	مساندة سر المهاري انتقيتها
قطرت بها شجعاء قرماء جرشما	إذا عد مجد العيس قدم بيتها
وجدت أباها رائضيها وأمها	فأعطيت فيها الحكم حتى حويتها

وقال جرير :

وكيف ولا أشد حبال رحل	أروم إلى زيارتك المـــراما
من العيدي في نسب المهاري	تطير على أخشمهـــا اللغاما
وتعرف عنقهن على تحولٍ	رقد لحقت شمائلها انفهاما

وقد غالى في القول أبو الشمقمق وجاوز الطرف إذ جعل نعليه تسابق الإبل المهرية على شدة سرعتها في السير ، ولندعه يحدثنا كما شاء له ظرفه وأدبه . قال :

رحل المطي إليك طلاب الندى	ورحلت نحوك ناقتي نعليه
إذ لم يكن لي يا يزيد مطيتي	فجعلتها لك في السفار مطيه
تحدى أمام اليعملات وتفتلي	في السير تترك خلفها المهريه ؟!
من كل طاوئة الصُوى مزورة	قطعاً لكل تنوفة روسيه
فإذا ركبت بها طريقاً عامراً	تنساب تحتي كانسياب الحيه
لولا الشراك لقد خشيت جماحها	وزمامها من أن تمس يديه ؟ !
تنتاب أكرم وائلا في بيتها	حسباً وقبـــة مجدها مبنيه
أعني يزيداً سيف آل محمد	فراج كل شديدة مخفيه
يوماه يوم للمواهب والندى	خضل ويوم دم وخطف منيه
ولقد أتيتك واثقاً بك عالماً	أن لست تسمع مدحة بذميه

ويقصد الشاعر بيزيد : يزيد بن المؤيد الشيباني ، وكان والياً على اليمن .

علي عبود العلوي